المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والستين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٢٤ — الموافق ٢٢ محرم سنة ١٣٤٥

مسؤلية الحرب الكبرى

ان ما كتبهُ الالمان والانكليز والفرنسويون والاميركيون عن مسؤلية الحرب العالمية يملأ مجلدات كثيرة . وقد اخترنا منهُ ما نشرناهُ حديثاً في مقتطف ايريل ومايو لانهُ مراسلات رئيسي اركان الحرب في المانيا والنمسا وهي من اقوى الادلة على ان تينك الدولتين كانتا تتوقعان الحرب وتستعدان لها وهي مع الخلاصة التي نقلناها عن مراسلات سفير اميركا في انكلترا الى الرئيس ولسن ومع ما ذكرناهُ في مقتطف مايو من الاقوال التي قيلت للطبيب الدنماركي كل ذلك يقوي حجة القائلين بان المسؤلية تقع كلها او اكثرها على المانيا والنمسا

واماما الآن مقالة في مجلة التاريخ الجاري الاميركية لكاتب فرنسوي مشهور وهو المسيو جورج دمارسيال Mr. Georges Demartial المعدود من ثقات الكتّاب قال فيها ما خلاصتهُ :

قال لي احد اصدقائي « ما الفائدة من بحثك عن الاسباب التي سببت هذه الحرب فانهُ ما من احد يرتاب في ان فرنسا انضمت الى روسيا لكي تعقّي حسابها مع المانيا (اي لكي تأخذ بثأرها من المانيا) فهجوم المانيا على فرنسا انما كان نتيجة دخولنا الحرب لا سبباً لهُ . ومن الناس من لا يرى ذلك لانهُ يريد ان لا يراهُ فيسد اذنيهِ عن سماع كل دليل كما سدّهما عن سماع صوت عقلهِ وضميرهِ فانت تضيع وقتك سدًى »

ولقد اصاب صديقي بعض الاصابة لا كلها . نعم ان البداهة كافية لاقناع كل احد ببطلان دعوى حكومتنا حينما نادت بأن المانيا بادأتنا العداء ولكن السواد الاعظم من

الشعب الفرنسوي لم يشاركها في ذلك . وتاريخ الشعوب هو تاريخ ما حلّ بهم من المحن هو تاريخ تصديقهم ما لا يصدَّق . وقد تعجب من تصديق الناس المحال بعدما بلغوا ما بلغوهُ من المهارة في العلوم والفنون حتى صاروا يركبون متن الهواء و يسيرون بغواصاتهم تحت الماء ولكن سبب ذلك واضح وهو ان ارتقاء العقل ابطأ جدًّا من ارتقاء الصناعات . فقد استنبط الانسان مستنبطات عظيمة جدًّا وهو لا يزال يعبد الحيوانات . النظارات التي على عينيَّ و بدونها لا استطيع ان اقرأ كلمة استنبطت والعقل في حلك الظلام في القرون الوسطى ونحن الآن امهر من اليونان الف مرة في عمل الاسلحة فهل صرنا امهر منهم الف مرة في اجتناب الحرب ؟

قال الذين خدعوا الشعب الفرنسوي ان المانيا اثارت هذه الحرب على اوربا المطمئنة التي لا غاية لها الاَّ السلام والمسالمة لكي تستعبد الشعوب الاوربية فاستبدلت بذلك عدوة للجنس البشري فيجب سحقها حتى تعجز عن اثارة حرب أُخرى في وقت آخر . قالوا ذلك وكرروهُ على صور شتى و بعضهم اعضاء في اكادمية العلوم وكانوا يوقعون ما يكتبونهُ في كبريات الصحف باسمائهم حتى اضطرت المانيا ان تواصل الحرب الى النهاية فحربت هي وفرنسا معًا

وفي السنة الثانية من الحرب اجتمع جماعة من الفرنسويين من مشارب مختلفة و بحثوا في هذا الموضوع وقرروا ان ما تنشرهُ الحكومة عن الحرب مناقض للحقيقة وقلتُ انا حينئذٍ انهُ لا يحتمل ان تكون المانيا هي المثيرة لهذه الحرب لان الحرب تضرها ولا تنفعها واما الدول التي تحاربها فلها من الحرب منافع فالواحدة تطلب القسطنطينية والثانية الالزاس والثالثة الاحتفاظ بامبراطوريتها عبر البحر ولان روسيا زحفت بجيشها على المانيا لغير سبب وهي تعلم ان هذا الزحف بمثابة اعلان الحرب على المانيا . جاهرتُ بذلك فلم يحسبني خوَّانة حينئذٍ

ان الوثائق التي نشرت من سجلات روسيا والمانيا والنمسا القت على هذا الموضوع نورًا جديدًا لكن رجال السياسة لم يعدموا الجرأة التي مكنتهم من اختيار عبارات من تلك الوثائق توافق غرضهم لتدل على براءة دولهم والحقيقة ان تلك الوثائق اثبتت فساد القول القائل ان المانيا هي وحدها المسئولة عن الحرب . ومن ثم دخل في هذا البحث اناسٌ تجنبوهُ اولاً وصرَّحوا بان التهمة التي اتهمت بها المانيا انقضت ومنهم المسيو فابر لوس Fabre — Luce وهو من دارسي العلوم الاقتصادية وابن رئيس بنك من اكبر

البنوك الفرنسوية وصهر المسيو ده مرجري سفير فرنسا في برلين فهو اذاً متصل باعظم رجال المال ورجال السياسة اي انهُ رجل عمل لا رجل خيال وقد نشر سنة ١٩٢٤ كتاباً عنوانهُ النصر La Victoire اكثر بحثهِ عمَّن كان السبب في الحرب . ومما استنتجهُ ان المانيا والنمسا فعلتا ما جعل الحرب ممكنة ولكن الدول المتحالفة فعلت ما جعل الحرب واجبة

والمسيو فكتور مرغريت Mr. Victor Marguerite المنشيء المشهور ألَّف سنة ١٩١٩ كتاباً سماهُ « على حافة الهاوية » Au bord du gouffre ابان فيهِ انهُ لا يحق لقوادنا ان يدَّعوا فخر الظفر . ونشر في اوائل سنة ١٩٢٥ كتاباً سماهُ « الجناة » Les criminels ابان فيهِ انهُ لا يحق لساستنا ان يدعوا البراءة من اثارة الحرب . وقد فصَّل في كتابهِ هذا الاسباب التي دعت الى اثارة هذه الحرب من سنة ١٨٧٠ الى الآن ونشر كتابهُ هذا بيت من بيوت النشر الكبيرة

ونشر المسيو رنوفين Mr. Renouvin كتاباً سماهُ اسباب الحرب المباشرة Les origines immédiates de la Guerre وهو مدرَّب في الطريقة العلمية لانهُ استاذ لعلم التاريخ ولهُ وصول الى المستندات الرسمية لانهُ مدير لمكتبة الحربية التي تحوي مائة الف مجلد وقد انتدب لنقض مزاعم امبراطور المانيا في كتابهِ المسمى « بالجداول التاريخية المتقابلة » فالَّف كتاباً كَتَبَ مقدمتهُ المسيو بوانكاري واختارتهُ جمعية تاريخ الحرب استاذاً في مدرسة السوربون لتاريخ الحرب . فلا يستطيع احد ان يطعن في كفاءتهِ او يدعي ان ضلعهُ مع الالمان ومع ذلك فقد رأى من الادلة ما يثبت كذب الاقوال الرسمية عن اسباب الحرب . ولعلَّ كتاب المسيو رنوفين هذا او غيرهُ جعل المسيو بوانكاري يغير رأيهُ بعض التغيير فانهُ كان يقول اولاً ان المانيا حرَّضت النمسا على صربيا لكي تثير الحرب الاوربية فتتمكن من مهاجمة فرنسا اما الآن فقال في مجلة « الاحوال الخارجية » التي تنشر في نيويورك ان المانيا والنمسا قد لا تكونان المثيرتين لهذه الحرب ولكنهما حسبتا حماقة منهما ان روسيا تسمح بان يقضى على الصرب . اما روسيا فلا يمكنها ان تتخلى عن الصرب فشرعت في الزحف لان وسائل زحفها ابطأ من وسائل الزحف عند الدول المعادية لها . ومن رأي المسيو بوانكاري ان الجاني هو اركان الحرب الالماني الذي توسل بما فعلتهُ روسيا لكي يضطر الحكومة الالمانية الى اعلان الحرب . وعند المسيو

بوانكاري ان دعوى اركان الحرب الالماني فارغة لان شروع روسيا في الزحف لا يعني اثارة الحرب. هذا ما قالهُ المسيو بوانكاري وعندي ان روسيا كانت تعلم او كان يجب ان تعلم ان زحفها يوجب على المانيا ان تزحف بجيوشها والزحف من الطرفين يستلزم اثارة الحرب ولا يمكن ان نتهم المانيا بالحماقة لانها حسبت ان روسيا تنتصر للصرب على اثر المذكرة التي ارسلتها اليها النمسا وتثير حرباً اوربية. فزحف روسيا لا يوجبهُ الموقف الذي وقفتهُ النمسا تجاه صربيا لانها لم تطلب من صربيا الاَّ الكف عن الاعمال التي تهدد كيان النمسا ولا يوجبهُ موقف المانيا في هذه المسألة لانها ارتدعت حالما رأت شبح الحرب

***

واسهب الكاتب في تبرئة المانيا وشبَّه اتهامها باثارة الحرب باتهام دريفوس في قضيتهِ المشهورة وكيف ثبتت براءتهُ بعد ان حكم عليهِ ظلماً والحى باللائمة على جمعية الامم كما الحى على حكومتهِ ومدح حزب العمال في انكلترا لانهُ لم يصدق مزاعم حكومتهِ ولافولت في اميركا والذين اعادوا انتخابهُ لمجلس الشيوخ

الاَّ ان المستر جس جرارد الذي كان سفيراً لاميركا في المانيا زمن الحرب عقب على مقالة المسيو دمارسيال هذه ببرقة فرنسا تمَّا نسبهُ اليها فقال انهُ ليس في مقالة المسيو دمارسيال دليل ينفي ما اعترفت بهِ المانيا في معاهدة فرسايل. وغاية ما في المقالة ان بعض الفرنسويين يبرئ المانيا من انها البادئة في الحرب. اما الاستدلال ببراءة دريفوس على براءة المانيا فدليل مع الفارق على ما يقول المناطقة وقد يكون حكم جمعية الامم في القاء المسؤلية على المانيا خطأً ولكن هذا الخطأ لا يثبتهُ كلام المسيو دمارسيال وعلى كل حال ليس الذنب ذنب الشعب الالماني

ثم ان المسؤلية عامة وخاصة فالمسؤلية العامة تقع على اوربا المسلحة على اناس من الاوربيين شأنهم البحث عن بلدان جديدة للاستيلاء عليها ولو كان شعبها معادياً لهم لكي يكتسبوا منها ما يزيد غناهم وقوتهم — على اناس تتألف منهم المعاهدة الثلاثية واناس تتألف منهم المحالفة الروسية الفرنسوية. والاتفاق الانكليزي الفرنسوي والحلف البلقاني

ان المانيا اعلنت الحرب فالمسؤلية واقعة على اركان الحرب الالماني ولا شأن للشعب الالماني في ذلك ولم تمكنهم الفرصة من الاعتراض ولو مكنتهم لاعترضوا ومنعوا الحرب كما اعترضوا ومنعوها سنة ١٩١١

ولديَّ من الادلة ما يقنعني بانهُ لو اتيحت لالمانيا الفرصة للنظر في الامر كما حدث سنة ١٩١١ لما أعلنت الحرب. وكانت رأسة اركان الحرب تعلم ذلك فبادرت الى حمل الامبراطور على اعلانها حالاً . والدستور الالماني يمنعهُ من اعلان الحرب الهجومية وحدهُ ولكنهُ يخولهُ اعلانها اذا كانت الحرب دفاعية ولذلك قيل لهُ ان طيارين من الفرنسويين ضربوا نورنبرج[1] وان جنوداً فرنسويين عبروا تخوم بلجكا لكي يخولوهُ اعلان الحرب الدفاعية وخرق حياد البلجيك مع انهُ لم يقم دليل ولا شبه دليل على ضرب نورنبرج . وقد كتب الامبراطور امامي تلغرافاً الى الرئيس ولسن في ١٠ اغسطس سنة ١٩١٤ قال فيهِ «ان حياد بلجكا خرق لاسباب عسكرية » . وقلت لهُ حينئذٍ ان جنودهُ تصل الى باريس في ثلاثة أسابيع فيصير في طاقتهِ ان يضع الشروط التي يختارها للصلح . فقال «كلاَّ فان دخول الانكليز غيَّر الموقف كلهُ لانهم شعب لا يكفُّ عن الحرب» .وواضح من ذلك ان دخول الانكليز لم يكن منتظراً

وكان قد مضى زمن طويل واركان الحرب والحزب الحربي والاعيان يقلقون رأس الامبراطور ويحرضونهُ على الشروع في الحرب وهو لا يلبي طلبهم الى ان حدثت حادثة زابرن وبيَّنت كراهة الشعب الالماني للنظام الحربي الذي جرت عليهِ الاسرة الامبراطورية واهانة الحزب الاشتراكي الدموقراطي لهُ عند ختام دور من أدوار مجلس النواب فرأى حينئذٍ ان لا بد من تلبية طلب طالبي الحرب ثم رأى ان في الامر مقامرة قد يخسر بها عرشهُ وما يملكهُ .وقد اخبرني فون غومر رئيس البنك الالماني بعيد بداءة الحرب ان ضباط اركان الحرب واجهوا الامبراطور وقالوا لهُ انهم يكسرون سيوفهم على ركبهم اذا لم يوقع اعلان الحرب

اما فون غومر وغيرهُ من رؤساء المصالح المالية والصناعية فلم يكونوا يرغبون في الحرب ولكن لما أعلنت عقدوها مخلصين

وتلاهُ الاستاذ برندت شميت استاذ التاريخ الحديث في جامعة شيكاغو بمقالة محكمة قسَّم فيها المسؤلية على الدول المتحاربة وسنعود الى هاتين المقالتين في فرصة اخرى. وعسى ان ينتبه الجمهور الاوربي والاميركي الى انهُ سوق بايدي رجال حكوماتهِ او المستعمرين والمتفقين منهم الى ما بهِ ضررهم

(١) معدنة في بافاريا وهي النابة فيها حجماً والاولى تجارة